لغز أسطورة الساحر ميرلين

إنجلترا ذاك البلد الساحر الجميل الذي يقع في أرخبيل يشتمل على أربع بلدان هي : انجلترا , ايرلندا, اسكتلندا و ويلز . وهي تعرف كلها (باستثناء جمهورية ايرلندا) بأسم المملكة المتحدة أو بريطانيا العظمى. بالطبع لن أسهب في وصف انجلترا فهي غنية عن التعريف ، فمن منا لم يسمع عن مدينة الضباب لندن أو الملك هنري الثامن وقصة حبه الجنونية لـــ آن بولين وقتله لزوجاته أو سلسلة أفلام هاري بوتر و سيد الخواتيم أو الأديب العظيم ويليام شكسبير ..

وبما أن التراث الإنجليزي يزخر بقصص و أساطير أقل ما يقال عنها رائعة, فلقد اخترت لكم أعزائي القراء أسطورتين بشكل ما ارتبطتا ببعضهما البعض .. فأرجو لكم قراءة ممتعة .

ميرلين الساحر الأبيض

في القرون الوسطى كان أبالسة و أسياد الجحيم يخططون لإحضار أمير الظلام المطلق لينافس ويقضي على السيد المسيح , وقد تلاعب شيطان ما بفتاة قروية عذراء و جعلها تحمل لكن سرعان ما تداركت خطأها و أدركت بأنها كانت ضحية لحب أعمى و لم تعرف بكيان حبيبها الشيطاني و مخططه الدنيء فنذرت أن تعيش بقية حياتها عفيفة طاهرة في خدمة الرب, وقد حملت بميرلين (merlin) وشربت المياه المقدسة ونتيجة لهذا

ولد هذا الصبي بقدرات خارقة لكن بنوايا طيبة و لم يسعى لتدمير البشر بل العكس لإنقاذهم.

طفولة ميرلين

كان فورتيجن ملك بريطانيا يحاول الدفاع عن مملكته ضد الساكسون (قبائل جرمانية غازية) فقام ببناء برج في جبال سنودونيا, لكن الكهنة أخبروه الكهنة باستحالة دحر الأعداء إلا إذا أريقت دماء لأطفال من غير أب, وكان هذا المكون صعب الحصول عليه , فمن أين سيحضرون طفلا من غير أب ؟ , وتذكر عزيزي القارئ بأننا نتكلم هنا عن أوروبا العصور الوسطى , حيث كان مفهوم الطهارة والزنا والعفة يختلف تماما عن ما هو موجود في الغرب اليوم , ولهذا كان من الصعب العثور على طفل من دون أب , لكن الكهنة بحثوا وبحثوا حتى وجدوا ضالتهم في ميرلين , والذي سرعان ما اكتشف ما يخطط له سحرة الدرويد , وهؤلاء كانوا كهنة وسحرة انجلترا في العصور القديمة قبل المسيحية .

وبعيدا عن عالم الأساطير فأن الكهنة الدرويد كانوا مرعبين حقا , ولهم طقوس تضحية بشرية مخيفة ومروعة تتضمن حرق الضحايا وهم أحياء , وبالعودة إلى قصة ميرلين فأن خطة السحرة بالأصل كانت القضاء على ميرلين , فهم علموا من خلال السحر والتنجيم بأنه سيكون ساحر عظيم وسينافسهم وينال حظوة الملك , فأردوا قتله , لكن ميرلين نجا من القتل بذكائه وقدراته الخارقة , إذ أخبر الملك أن السحرة غفلوا عن أمر مهم , وهو أن البرج لو شيد سوف لن يصمد لوجود بركة عميقة تحته

فيها كهف يتصارع فيه تنينان أحدهما أحمر و الآخر أبيض , واستطاع ميرلين بقدراته الخارقة رؤية ذلك, فعدل الملك عن قتله.

ميرلين و الملك آرثر

احتلت الأسطورة الويلزية للملك آرثر (King Arthur) مكانا مرموقا في الميثولوجيا البريطانية والأدب العالمي, وأنتجت العديد من الأفلام حوله وحول ميرلين و اكسكالبار , وهناك من اعتبره قائدا كان له وجود حقيقي و هناك من اعتبره نصف إله سلتي و نصف بشري , لكن يضل وجوده من عدمه لغزا ألهم العديد من الكتاب الإنجليز في العصر القديم والحديث على حد سواء.

آرثر بندراغون, هو بحسب الأساطير القديمة ملك شجاع وصائد التنانين و مقاتل مقدام و بطل بكل معنى الكلمة ,جمع بين النبل و الكرم و الدفاع عن الفقراء والمظلومين. تربى في غوينيذ شمال ويلز و أحب امرأة واحدة و أخلص لها هي غوينيفير التي أصبحت ملكته بعد أن توج ملكا على كاميلوت , وهو اسم مملكة آرثر التي أسسها من بقايا قريته المحطمة على يد الساكسون . ولآرثر مع زوجته غوينيفير قصة مشهورة حيث تعلق قلبها بحب أحد أصدقاء آرثر من فرسان الطاولة المستديرة , الفارس لانسلوت , وقد انتهى هذا الحب المحرم إلى مأساة وتسبب في موت آرثر , وتلك قصة طويلة قد نعود لها يوما ما .

الساحر ميرلين تنبأ بولادة آرثر و أنه هو من سينتزع الإكسكالبار و يقود معركة الخير ضد الشر و ينتصر فيها و أصبح ميرلين لاحقا مستشار

آرثر و يده اليمنى وعضوا مهما في الطاولة المستديرة لحماية الكأس المقدسة التي كانت رمزا ذو مدلولات مسيحية لكن مع عمق واحترام يعود إلى أيام الوثنية , و كانت هذه الطاولة رمزا لآرثر و فرسانه الشجعان , وقد حظي بمكانة مرموقة لدى الكنيسة.

نهاية آرثر غير مؤكدة هناك من يقول أنه مات في معركة كاملان سنة ٥٣٧م على يد الجاسوس موردراوت الذي بعثه سحرة الدرويد و يقال أنه نجا وحمل إلى جزيرة أفالون وتمت معالجته وسيعود يوما ما عندما يكون شعبه في أمس الحاجة إليه , ويؤمنون بهذا بشدة و خاصة شعوب ويلز وكرونول وبريتاني , حتى يقال أن الملك هنري الثامن بحث عن قبر آرثر من اجل نبش جثته و قبره المزعوم الموجود تحت صخرة يزعمون أنها صخرة الإكسكالبار , لكن وجد القبر فارغا . وهناك أساطير تقول بأن آرثر ينام بعمق في كهف ما وسيستيقظ يوما ما . خلاصة القول هي أن الملك آرثر حظي بمكانة كبيرة في التراث الانجليزي , والبريطاني عموما , ربما لم يحظى بها أي ملك آخر .

نهاية ميرلين

هناك عدة روايات حول نهاية الساحر الأبيض , البعض يعتقد أن شياطين أبيه حملته إلى أسفل الجحيم , ويقال أيضا انه اختفى بشكل غامض, لكن أشهرها على الإطلاق هو وقوعه في حب تلميذته نيفيان التي تكنى بسيدة البحيرة , وكانت تستغله ليعلمها السحر فتصبح قوية و خالدة مثله , و لما تفوقت عليه حبسته في قلعة او كهف أو قبر وضل سجين حبه

و معاناته و ندمه إلى الأبد, وبالرغم من أنه كان أقوى و أمهر السحرة إلا أن انقلاب محبوبته عليه و غدرها به أو اكتشافه أنها لم تحبه أصلا بل كان وسيلة لتحقيق المصالح جعله يضعف و يتحطم نهائيا.